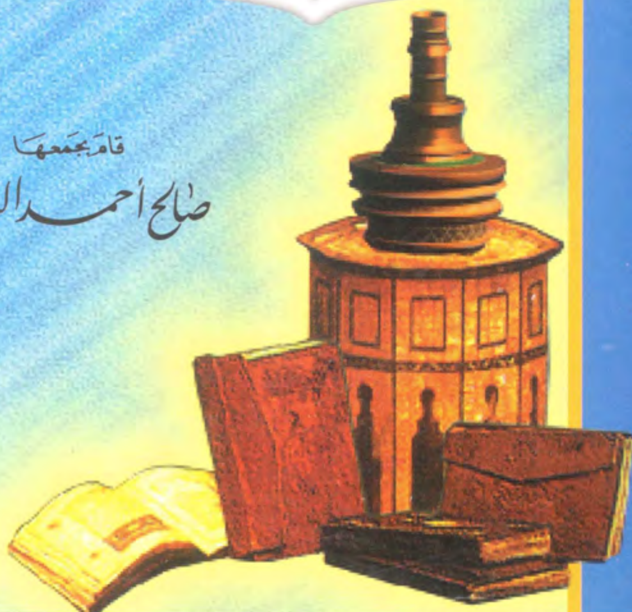
مواعظ الإمام الأوزاعي رحمه الله

٨٨ - ١٥٧هـ



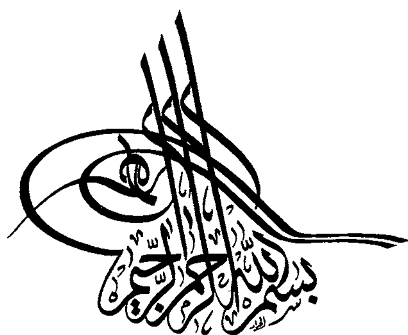
قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

مَوَاعِظُ

الإمَامِ الأوزَاعِيّ



مَعَالِمُ فِي التَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ

مَوَاعِظُ الإِمَامِ الأَوزَاعِيّ

٨٨ - ١٥٧هـ

قام بجمعها

صالح أحمد الشّامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، علىٰ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وَبَعْـد:

فمن المواعظ المؤثرة والحكم البالغة ما تناقلته الأجيال من قولهم:

«ما أكثر عبد ذكر الموت إلّا كفاه اليسير، ولا عرف عبد أن منطقه من عمله، إلّا قلَّ لغطه».

وصاحب هذه المقالة هو الإمام «الأوزاعي» الإمام المجتهد صاحب الفقه والحديث.

ولم يكن هذا الإمام واعظاً بالمعنىٰ التقليدي ـ وإن كان كما نقل عنه: أنه إذا أخذ في ذكر المعاد أبكىٰ القلوب ـ ولكنه عالم نصب نفسه للفتوىٰ فكان

المرجع في ذلك. فهو ألصق بالفقه منه بالوعظ.

ومع ذلك، فقد كان بليغاً في عبارته حتىٰ قيل: ما من كلمة للأوزاعي إلا احتاج مستمعها إلىٰ إثباتها.

وأقوال هذا العالِم التي وصلتنا في هذا الباب قليلة بالنسبة لما اشتهر عنه، ولعل كونه في زمن متقدم هو السبب في ذلك، فقد ضاعت معظم فتاواه، فبالأحرىٰ أن تضيع كلماته.

وقد يبارك الله في القليل ويجعل فيه الخير الكثير. يضاف إلىٰ ذلك، أن الموعظة قد تكون بالفعل والعمل. فسيرة العلماء الربانيين هي بعض موعظتهم، بل هي أبلغ مواعظهم.

وأقوال هذا الإمام التي نوردها في هذه الرسالة نوعان: مواعظ ورسائل. وهي بقسميها معالم هدىً ومنارات خير.

وكما كانت رسائله في حياته وسائل إصلاح، حصد الناس يومئذٍ ثمارها، فكذلك مواعظه ـ إن شاء الله ـ كانت وما زالت وسائل هداية وتسديد.

رحم الله الإمام الأوزاعي، ونفعنا بأقواله ونصائحه، إنه سميع مجيب، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة رجب ١٤٢٩هـ
٤/٧/٢٠٠٨م

وكتبه

صالح أحمد الشّامي

ترجمة الإمام الأوزاعي[1]

هو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي الدمشقي.

ولد سنة ثمان وثمانين للهجرة في محلة بدمشق تسمىٰ الآن بالعقيبة. وقال ابن ناصر: ولد في بعلبك.

قال العباس بن الوليد: سمعت أبي يقول: كان مولد الأوزاعي ببعلبك، ومنشؤه بالبقاع، ثم نقلته أمه إلىٰ بيروت. فما رأيت أبي يتعجب من شيء مما يراه في الدنيا، تعجبه منه. فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء، كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه تنقله من

---

(١) مراجع هذه الترجمة: «شذرات الذهب» (١/ ٢٤٠، ٢٤٢)؛ و«تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر (٣٥/ ١٤٧ وما بعدها)؛ و«الجرح والتعديل» (١/ ١٨٤ وما بعدها)؛ و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٠٧ وما بعدها)؛ «البداية والنهاية» (١٠/ ١١١ وما بعدها).

بلد إلىٰ بلد، وقد جرىٰ حكمك فيه، بأن بلَّغته حيث رأيته، ثم يقول: يا بني، عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه في نفسه. ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلىٰ إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً قط حتىٰ يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي: أترىٰ في المجلس قلب لم يبك؟!

قال الأوزاعي: مات أبي وأنا صغير، فذهبت ألعب مع الصبيان، فمرَّ بنا فلان ـ وذكر شيخاً من العرب جليلاً ـ قال: ففر الصبيان حين رأوه، وثبتُّ أنا، فقال: ابن من أنت؟ فأخبرته، فقال: ابن أخي، يرحم الله أباك، فذهب بي إلىٰ بيته، فكنت معه حتىٰ بلغت فألحقني في الديوان، وضرب علينا بعثاً إلىٰ اليمامة، فلما قدمت اليمامة، ودخلنا مسجد الجامع، فلما خرجنا قال لي رجل من أصحابنا: رأيت يحيىٰ بن أبي كثير معجباً بك، يقول: ما رأيت في هذا البعث أهيأ من هذا الشاب. قال: فجالسته وكتبت عنه أربعة عشر كتاباً، أو ثلاثة عشر، فاحترق كله.

وقد عكف علىٰ العلم حتىٰ صار شيخ الشام،

فروىٰ عن: الزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير، وعطاء وغيرهم كثير..

قال النووي ـ في «شرح المهذب» في باب الحيض ـ: وأما الأوزاعي فهو أبو عمرو، عبد الرحمٰن بن عمرو، من كبار تابعي التابعين، وأئمتهم البارعين، كان إمام أهل الشام في زمنه، أفتىٰ في سبعين ألف مسألة، وقيل ثمانين ألفاً. اهـ.

وفي «تهذيب النووي» عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: الأئمة في الحديث أربعة: الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد. اهـ.

وأول ما سئل الأوزاعي عن الفقه سنة ثلاث عشرة ومائة، وهو يومئذٍ ابن خمس وعشرين سنة، ثم لم يزل يفتي بعد ذلك بقية عمره إلىٰ أن توفي رحمه الله.

وانتشر مذهب الأوزاعي في بلاد الشام وغيرها، قال ابن كثير: وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد علىٰ مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة.

وقد تراجع مذهبه أمام المذاهب الأخرىٰ بسبب ضعف تلاميذه، ونشاط أصحاب المذاهب الأخرىٰ.

ومن أخباره التي تلقي الضوء علىٰ شخصيته:

• قال محمد بن عبد الرحمٰن السلمي: رأيت الأوزاعي، وكان فوق الربعة، خفيف اللحية، به سمرة، وكان يخضب بالحناء.

• قال موسىٰ بن يسار ـ وكان قد صحب مكحولاً ـ: ما رأيت أحداً قط أحدَّ نظراً، ولا أنقىٰ للغلِّ عن الإسلام من الأوزاعي.

• قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي.

• قال ابن المبارك، قال الأوزاعي: ما زال هذا العلم عزيزاً يتلقاه الرجال، حتىٰ وقع في الصحف فحمله ـ أو دخله ـ غير أهله.

وعن الوليد قال: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريماً، يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب دخل فيه غير أهله.

• عن ضمرة بن ربيعة قال: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيته مضطجعاً علىٰ

المحمَل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلىٰ القتب.

• قال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعِي، كأنه أعمىٰ من الخشوع.

• قال أبو عبد الملك بن الفارسي: أخبرني أبو هزان عن الأوزاعي قال: ذكر الخردل ـ وكان يحبه أو يتداوىٰ به ـ فقال رجل من أهل صفورية: أنا أبعث إليك منه يا أبا عمرو، فإنه ينبت عندنا كثير برِّيّ. قال: فبعث إليه منه بصرَّة، وبعث بمسائل. فبعث الأوزاعي بالخردل إلىٰ السوق فباعه، وأخذ ثمنه فلوساً، فصرّها في رقعته وأجابه في المسائل، وكتب إليه: إنه لم يحملني علىٰ ما صنعت شيء تكرهه، ولكن كانت معه مسائل، فخفت أن يكون كهيئة الثمن لها.

• قال عيسىٰ بن الطباع: أهدىٰ للأوزاعي أصحاب الحديث هدية، فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار، إن شئتم قبلت هديتكم ولم أحدثكم، وإن شئتم حدثتكم ورددت هديتكم.

• قال أحمد بن أبي الحواري: بلغني أن نصرانياً أهدىٰ إلىٰ الأوزاعي جرة عسل، وقال له: يا

أبا عمرو تكتب لي إلىٰ والي بعلبك. فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك، قال: فردَّ الجرة وكتب له. فوضع عنه ثلاثين ديناراً.

• قال أبو هزان: كان الأوزاعي من أسخىٰ الناس، وإن كان الرجل ليعرض بالشيء، فينقلب الأوزاعي فيعالج الطعام فيدعوه.

• قال الواقدي: قال الأوزاعي: كنا قبل اليوم نمزح ونضحك، فلما أن صرنا أئمة ينظر إلينا ويقتدىٰ بنا، فينبغي لنا أن نتحفظ. وفي رواية: خشيت أن لا يسعنا التبسم.

• قال يحيىٰ بن أبي كثير للأوزاعي: ينبغي لك أن تبادر البصرة لعلك تدرك الحسن وابن سيرين فتأخذ عنهما، فانطلق إليهما، فوجد الحسن قد مات، وابن سيرين حي. فدخل الأوزاعي عليه فعاده ومكث أياماً ومات ولم يسمع منه.

• عن سعيد بن عبد العزيز قال: ولي الأوزاعي القضاء ليزيد بن الوليد، فجلس مجلساً ثم استعفىٰ فأعفي.

• قال الوليد بن مزيد: قال الأوزاعي: لا يجتمع حب علي وعثمان رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.

• قال الوليد بن مزيد وعقبة بن علقمة: ما رأينا أحداً أسرع رجوعاً إلىٰ الحق - إذا سمعه - من الأوزاعي.

• قال الوليد بن مسلم: ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي. وقال أبو مسهر: كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاءً.

• لما قدم عبد الله بن علي - عم السفاح والمنصور - إلىٰ حماة بعث إلىٰ الأوزاعي، فسأله أسئلة كثيرة، فصدع الأوزاعي بكلمة الحق.

وكان عبد الله قد قتل من بني أمية نيفاً وسبعين. فقال للأوزاعي: ما تقول في دماء بني أمية؟

فقال: كان لهم عليك عهد.

قال: فاجعلني وإياهم ولا عهد، ما تقول في دمائهم؟

قال: حرام لقول رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث) الحديث.

فقال: ولمَ ويلك، وقال: أليست الخلافة وصية من رسول الله، قاتل عليها عليٌّ رضي الله عنه بصفين؟

قال: لو كانت وصية ما رضي بالحكمين.

فنكس رأسه، قال الأوزاعي: ونكست رأسي فأطلت، ثم قلت: البول. فأشار بيده اذهب. فقمت فجعلت لا أخطو خطوة إلا قلت: إن رأسي يقع عندها.

* * *

تلك بعض الأخبار التي توضح بعض الصورة عن هذا العالم الجليل.

وفاته وتركته

قال عقبة بن علقمة: آخر ما سمعت من الأوزاعي، أنا جلسنا إليه ليلة هلك فيها من الغد، إذ أذّن المؤذن، وكان مؤذناً حسن الصوت. فقال: ما أحسن صوته! لقد بلغني أن داود عليه السلام كان إذا أخذ في بعض مزاميره، عكفت الوحوش والطير حوله حتىٰ تموت عطشاً، ثم وجم ساعة، ثم قال: كل أمر لا يُذكر فيه المعاد لا خير فيه، وأقيمت الصلاة، فكان آخر العهد به.

وقال: كان سبب موت الأوزاعي أنه اختضب بعد انصرافه من صلاة الصبح، ودخل في حمام له في منزله، وأَدْخَلَتْ معه امرأته كانوناً فيه فحم لئلا يصيبه البرد، وغلقت الباب من الخارج، فلما هاج الفحم صفرت نفسه، وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه، فألقىٰ نفسه، فوجدناه متوسداً ذراعه إلىٰ القبلة.

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ومائة.

قال سالم بن المنذر: لما سمعت الصيحة بوفاة الأوزاعي خرجت.. وخرجت في جنازته أربعُ أمم، ليس منها واحدة مع صاحبتها، وخرجنا يحمله المسلمون، وخرجت اليهود في ناحية، والنصارىٰ في ناحية، والقبط في ناحية.

ودفن في بيروت بجوار مسجد مطل علىٰ البحر وعرف المكان باسم منطقة الأوزاعي.

قال العباس بن الوليد: سمعت أصحابنا يقولون: صار إلىٰ الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار ـ يعني من السلطان ـ من بني أمية وبني العباس، فلما مات ما خلف ألا سبعة دنانير، بقية من عطائه، وما كان له أرض ولا دار.

قال العباس: نظرنا فإذا هو أخرجها كلها في سبيل الله والفقراء.

وقال: حدثني محمد بن هلال، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين قال: لما سَوَينا علىٰ الأوزاعي تراب قبره، قام والي الساحل عند رأسه، فقال:

رحمك الله أبا عمرو، فوالله لقد كنتُ لك أشدَّ تقيَّة من الذي ولاني، فمن ظُلِمَ بعدك فليصبر.

رحم الله الإمام الأوزاعي رحمة واسعة وجعله في عليين.

شهادات[1]

• قال عبد الرحمٰن بن مهدي: ما كان بالشام أحدٌ أعلمَ بالسنة من الأوزاعي.

• قال سفيان بن عيينة: كان الأوزاعي إمام زمانه.

• قال الإمام مالك ـ وذكر عنده الأوزاعي ـ: كان إماماً يقتدىٰ به. وقال: الأوزاعي من الراسخين في العلم.

• قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالمَ أهلِ الشام.

---

(١) جرت عادتي في هذه السلسلة على وضع هذه الفقرة في الترجمة، لبيان مكانة المترجم له، وقد سبق بعض ذلك في الصفحات السابقة. ولو ذهبت أنقل كل ما قيل لطال الفصل. وفيما ذكرته غنية.

• قال الإمام أحمد: كان الأوزاعي من الأئمة.

• قال الإمام النسائي: أبو عمرو الأوزاعي إمامُ أهل الشام وفقيههم.

• قال العماد الحنبلي ـ صاحب «شذرات الذهب»: أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي إمام الشاميين، الفقيه، كان رأساً في العلم والعمل، جم المناقب، ومع علمه كان بارعاً في الكتابة والترسل.

• قال إسماعيل بن عباس: سمعت الناس سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة.

• قال أبو نعيم ـ صاحب «الحلية» ـ: كان عبد الرحمٰن الأوزاعي أبو عمرو رضي الله عنه واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه، كان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، مقوالاً بالحق لا يخاف سطوة العظائم.

• قال الذهبي ـ في «سير أعلام النبلاء» ـ: عبد الرحمٰن بن عمرو، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي.

• قال ابن عساكر في «تاريخه»: أبو عمرو

الأوزاعي، إمام أهل الشام في الحديث والفقه.

● قال ابن كثير: الإمام الجليل، علامة الوقت، فقيه أهل الشام وإمامهم.. نزل دمشق، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام.. وأثنىٰ عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون علىٰ عدالته وإمامته.

الباب الأوّل

المَواعِظُ

التزام السنة

قال أبو عمرو:

اصبر نفسك على السُّنَّة، وقفْ حيث وقف القوم، وقلْ بما قالوا، وكفَّ عما كفّوا عنه.

واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.

ولا يستقيم الإيمانُ إلا بالقول.

ولا يستقم القولُ إلا بالعمل.

ولا يستقم القولُ والعملُ إلا بالنية موافقةً للسُّنَّة.

وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل.

وإنما الإيمان اسم جامع، كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل.

فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه، وصدق ذلك بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدقه بعمله، لم يقبل منه، كان في الآخرة من الخاسرين[1].

در مع السنة

قال أبو عمرو:

ندور مع السُّنَّة حيثما دارت[2].

إذا بلغك الحديث

قال أبو عمرو:

إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره، فإنه كان مبلغاً عن الله تعالىٰ[3].

كفاه اليسير

قال أبو عمرو:

من أكثر ذكر الموت[4] كفاه اليسير.

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩١) المكتب الإسلامي.
(٢) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٠).
(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨٠).
(٤) الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب، وهو «التذكر».

ومن علم أن منطقه[1] من عمله، قلَّ كلامُه[2].

رؤية الجبار

قال أبو عمرو:

بلغني أن سليمان ﷺ قال: يا معشر الجبابرة، كيف تصنعون إذا رأيتم الجبار؟ يا معشر الجبابرة، كيف تصنعون إذا وضع الميزان لفصل القضاء[3]؟

قد أحيط بك

كتب أبو عمرو إلىٰ أخ له:

أما بعد:

فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يُسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر اللهَ والمقامَ بين يديه.

وأن يكون آخر عهدك به. والسلام[4].

---

(١) المنطق: المراد به القول.

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩١).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤١).

(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٠).

العلم بلا سكينة

قال أبو عمرو:

طالب العلم بلا سكينة ولا حلم، كالإناء المنخرق، كلما حمل فيه شيء تناثر[١].

تذكير بالغاية

قال أبو عمرو:

ابن آدم! اعمل لنفسك وبادر[٢]، فقد أُتيت من كل جانب.

وأعولْ كعويلِ الأسير المكبَّل[٣].

ولا تجعل بقية عمرك للدنيا وطلبها في أطراف الأرض، حسبك ما بلَغك منها. استسلم طائعاً.

وتعزَّ بيوم فقرك وفاقتك، واسع في طلب الأمان.

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ١٨٥).

(٢) بادر: أسرع.

(٣) أعولَ: رفع صوته بالبكاء، والمعنىٰ: ابكِ بكاء الأسير الذي أثقلته القيود، ولعل المقصود بـ«المكبل» هنا، هو قيود الذنوب.

فإنك في سفر إلىٰ الموت، يطرد بك نائماً ويقظانَ.

واذكر سهر أهل النار في خلد أبداً، وتخوَّف أن يُنصرفَ بك من عند الله ﷻ إلىٰ النار، فيكون ذلك آخر العهد بالله ﷻ وينقطع الرجاء.

واذكر أنك قد راهقت[1] الغاية، وإنما بقي الرمق[2]، فسدِّد تصبُّراً وتكرُّماً.

وارغب ببقية عمرك أن تفيته[3] للدنيا، وخذ منها ما يفرِّغك لآخرتك، ودع فيها ما يشغلك عنها[4].

معالم الدين

قال أبو عمرو:

كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان:

---

(١) راهقت الغاية: دنوت منها واقتربت.

(٢) الرمق: أي القليل اليسير.

(٣) تفيته: أي تمضيه أو تفنيه.

(٤) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٢١٨).

ـ لزوم الجماعة.

ـ واتباع السنة.

ـ وعمارة المساجد.

ـ وتلاوة القرآن.

ـ والجهاد في سبيل الله تعالىٰ[1].

خطر الأهواء

قال أبو عمرو:

قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم؟

فقالوا: من كل شيء.

قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟

فقالوا: هيهات! ذاك شيء قِرْنُ التوحيد[2].

قال: لأبثَّنَّ فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه.

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩١).

(٢) القِرن ـ بالكسر ـ: الكفء والنظير؛ أي: أن الاستغفار كالتوحيد.

قال: فبث فيهم الأهواء[1].

الخشية

قال أبو عمرو:

قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني عليك بخشية الله، فإنها غَلبت كل شيء[2].

آثار السلف

قال أبو عمرو:

عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياكَ وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت علىٰ طريق مستقيم[3].

الخشوع

سئل الأوزاعي عن الخشوع في الصلاة؟

فقال:

---

(١) «سنن الدارمي» برقم (٣٠٨).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢٠).

غضُّ البصر، وخفض الجناح، ولين القلب، وهو الحزن والخوف[1].

ما يرىٰ بالكذب بأساً

قال الوليد بن مزيد: كان الأوزاعي علىٰ باب دكان بحذاء درج مسجد بيروت، وحذاءه صاحب دكان يبيع فيه ناطفاً، وإلىٰ جانبه صاحب دكان يبيع بصلاً، وهو يقول: يا أحلا من الناطف.

فقال له الأوزاعي:

سبحان الله! ما يرىٰ هذا بالكذب بأساً[2]؟

اختبار الحديث

قال أبو عمرو:

إن كنا لنسمع الحديث، فنعرضه علىٰ أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف علىٰ الصيارفة، فما عرفوا أخذنا، وما أنكروا تركنا[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٦).

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٤).

(٣) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ١٨٦).

العلم علمان

قال أبو عمرو:

تعلَّم ما لا يؤخذ به، كما تعلم ما يؤخذ به[1].

لُبْس السَّواد

قال ابن أبي الحواري: دخل الأوزاعي علىٰ أبي جعفر المنصور، فلما أراد أن ينصرف، استعفىٰ[2] من لُبْسِ السَّواد، فأجابه.

فلما خرج الأوزاعي قال أبو جعفر للربيع: الحقه فاسأله لَمَ استعفىٰ من لبس السواد؟ ولا يعلم أني أمرتك، فلحقه الربيع:

فقال: يا أبا عمرو، رأيتك استعفيت أمير المؤمنين من السواد، فما بأس السواد؟

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ١٨٦).

(٢) استعفىٰ: أي طلب العفو والمسامحة، والمقصود هنا عدم مطالبته بلبس الثياب السوداء. وقد كان ذلك شعار الدولة العباسية.

قال الأوزاعي:

يا ابن أخي، لم يُحْرِمْ فيه محْرم قط[1]، ولا يكفَّن فيه ميت قط، ولم تُزَيَّن فيه عروس قط، فما أصنع بلبسه[2]؟!

زيارة الأمراء

قال أبو عمرو:

ما من شيء أبغض عند الله من عالم يزور عاملاً[3].

قيام الليل

قال أبو عمرو:

من أطال قيام الليل، هوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة[4].

---

(١) أي: لم يلبسه أحد ممن أحرم بحج أو عمرة. وقد جرت العادة أن تكون ثياب الإحرام بيضاء اللون.

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢١٩).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٢٤) طبعة الخير، والعامل: المراد به الأمير أو من يقوم مقامه.

(٤) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ١٩٥).

الاعتبار بمن سبق

قال أبو عمرو:

أيها الناس، تقوَّوْا بهذه النعم ـ التي أصبحتم فيها ـ على الهَرَب من ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهُمزة].

فإنكم في دار الثَّواء[1] فيها قليل، وأنتم فيها مرتحلون، خلائف بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أَنْفَسَها وزهرتها.

فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً، وأمدَّ أجساماً، وأعظم آثاراً، فجدَّدوا الجبال[2]، وجابوا الصخور[3]، ونقبوا في البلاد[4]، مؤيَّدين ببطش شديد، وأجساد كالعماد.

فما لبثت الأيام والليالي أن طَوَتْ مدَّتهم،

---

(١) الثواء: الإقامة والبقاء.

(٢) أي: قطعوها، وأقاموا الجواد، وهي الطرق.

(٣) أي: قطعوها.

(٤) النقب: هو الطريق بين جبلين.

وعفَّت آثارهم[1]، وأخوتْ منازلهم[2]، وأنْسَتْ ذكرهم، فما تحسُّ منهم من أحد، ولا تسمع لهم رِكزا[3].

كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، ولصباح قوم نادمين.

ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بَياتاً من عقوبة الله ﷻ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين. وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة، وزوال نعمة، ومساكن خاوية، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشىٰ.

وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص، ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولىٰ عفوه[4]، وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا حمَّةُ[5] شرّ، وصبابه كدر، وأهاويل

---

(١) عفت: أي ذهبت ولم يبق لها أثر.

(٢) أخوت: أي أصبحت خاوية ليس فيها أحد.

(٣) الركز: الصوت الخفي أو الضعيف.

(٤) عفوه: العفو: أجلُّ المال وأطيبه، والمراد: السعة والرفاهية.

(٥) حمة: هي السم.

غِير[1]، وعقوبات عبر، وأرسال فتن، وتتابع زلازل، ورُذَالة خلف، بهم ظهر الفساد في البر والبحر.

فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأملُ، وغَرَّهُ طول الأجل، وتبلَّغ بالأماني.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعىٰ نُذُرَه وانتهىٰ، وعقل مثواه فمهَّد لنفسه[2].

بركة العلم

قال أبو عمرو:

إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم، ألقىٰ علىٰ لسانه الأغاليط[3][4].

---

(١) غِير: أي تغير الحال من الصلاح إلىٰ الفساد.

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٨)؛ و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٧).

(٣) الأغاليط: المسائل الدقيقة الغامضة، التي يراد بها مغالطة العلماء. وقال الحسن البصري: إن شر عباد الله الذين يجيئون بشرار المسائل، يُعَنِّتُونَ بها عباد الله.

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٧٨).

إضاعة الصلاة

قال أبو عمرو:

لؤم بالرجل ودناءة نفس، أن يفوته وقتُ الصلاةِ بكسب دانق[1].

الصمت

قال أبو عمرو:

العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وجزء منها في الهرب من الناس[2].

أمور عزيزة

قال أبو عمرو:

لا يكون في آخر الزمان شيء أعزّ:

- من أخ مؤنس.
- أو كسب درهم من حِلِّه.

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٨).

(٢) «الإمام الأوزاعي»، عبد الستار الشيخ (ص١٢٩).

ـ أو سنَّة يُعْمَلُ بها[1].

الوعظ بلا إخلاص

قال أبو عمرو:

بلغني أنه ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله، إلا زلَّتْ عنه القلوب كما يزلُّ الماء عن الصفا[2].

وقت لا يذكر الله فيه

قال أبو عمرو:

ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة علىٰ العبد يوم القيامة، يوماً فيوماً، وساعةً فساعة.

ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالىٰ فيها إلا تقطَّعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة، ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة[3]؟!

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٢).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٠).

(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٠).

أنا خير منه

قال أبو عمرو:

إذا سمعت أحداً يقع في غيره، فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه[1].

الجدل

قال أبو عمرو:

إذا أراد الله بقوم شراً، فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل[2]

عمى القلب

قال أبو عمرو:

قال سليمان عليه السلام: من عمل سوءاً فبنفسه بدأ.

وقال عليه السلام: كل عمىٰ ولا عمىٰ القلب[3].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٦) وقوله: (أنا خير منه) إشارة إلى قول إبليس، أي أن من يقول هذا القول فإنه يكون متبعاً لإبليس.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢١).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤١).

لهو العلماء

قال أبو عمرو:

لهو العلماء، خير من حكمة الجهلاء[1].

ظهور البدع

قال أبو عمرو:

إذا ظهرت البدع، فلم ينكرها أهل العلم، صارت سنَّة[2].

العلم

قال بقية بن الوليد: قال لي الأوزاعي:

يا بقيَّةُ، العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن أصحاب محمد ﷺ، فليس بعلم.

يا بقية، لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك محمد ﷺ إلا بخير، ولا أحداً من أمتك[3].

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤١).

(٢) «شرف أصحاب الحديث» (ص١٧).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٦).

فقه لغير عبادة

قال أبو عمرو:

كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات[1].

فقه أبتر[2]

عن الوليد بن مزيد، عن الأوزاعي أنه كتب إلىٰ عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان:

---

(١) «سنن الدارمي» رقم (١٨٧).

(٢) إنّ هذا الدين متين، بنيان مرصوص، نصوصه وفرائضه وتعاليمه، بعضها آخذ برقاب بعض، فمن الخطأ الفادح أن تؤخذ آية كريمة من سياقها ثم تفسر أو تشرح بعيداً عن ذلك السياق، ومن الخطأ أيضاً أن يؤخذ حديث شريف ثم يفسر ويشرح بعيداً عن اعتبار القواعد العامة والكليات التي قام عليها هذا الدين.

وموضوع هذه الرسالة: أن من وجهت إليه، أخذ حديثاً نبوياً وفهمه بعيداً عن الكليات والقواعد العامة وهو قوله ﷺ: (إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي) قالوا: فما تأمرنا؟ =

أما بعد:

فقد كنتَ بحالِ أبيك لي وخاصةِ منزلتي منه عالماً، فرأيتُ أن من صلتي إياه تعاهدي إياكَ

= قال: (كونوا أحلاس بيوتكم).

رواه أحمد (١٩٦٦٢)؛ وأبو داود (٤٢٦٢).

وأحلاس: جمع حلس وهو كساء يبسط في البيت.

والمراد: الزموا بيوتكم.

فرأى ـ من وجهت إليه الرسالة، أنه في وقت الفتن، أن عليه أن يكون حلس بيته، فترك الجمعة والجماعة والرباط.

فأراد الأوزاعي أن يبين له خطأ فهمه، لأنه أخذ بهذا الحديث دون ملاحظة القواعد العامة.. ومنها حضور الجمعة والجماعة.

والحديث في مقصده العام: إنما هو التنفير من الفتنة، أو المشاركة فيها، وهو ما عبّر عنه أن يكون حلس بيته، وعدم المشاركة في الفتنة لا يتعارض مع حضور الجماعة وأداء الفرائض.

وقد جاء الأوزاعي بالأدلة على ذلك في رسالته.

لقد كانت رسالة الأوزاعي بياناً للمنهج الصحيح في فهم النصوص في ضوء الكليات والقواعد العامة.. حتى لا نقع في دائرة الفقه الأبتر الذي وقع فيه عبد الرحمٰن بن ثابت. المذكور في الرسالة.

بالنصيحة، في أول ما بلغني عنك من تخلُّفِكَ عن الجمعة والصلوات.

ثم بررتُكَ فوعظتُك، فأجبتني بما ليس لك فيه حجة ولا عذر.

وقد أحببتُ أن أقرنَ بنصيحتي إياك عهداً، عسى الله أن يحدث به خيراً.

وقد بلغنا أن خمساً كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان: اتباع السنة، وتلاوة القرآن، ولزوم الجماعة، وعمارة المساجد، والجهاد في سبيل الله.

وحدثني سفيان الثوري: أنَّ حذيفةَ بن اليمان كان يقول: من أحب أن يعلم أصابته الفتنة أو لا؟ فلينظر: فإن رأىٰ حلالاً كان يراه حراماً، أو يرىٰ حراماً كان يراه حلالاً، فليعلم أن قد أصابته.

وقد كنتَ قبل وفاة أبيك رَحِمَهُ اللَّهُ ترىٰ تركَ الجمعةِ والصلواتِ في الجماعة حراماً، فأصبحتَ تراه حلالاً.

وكنتَ ترىٰ عمارةَ المساجدِ من أشرف الأعمال، فأصبحتَ لها هاجراً.

وكنتَ ترىٰ أن تركَ عصابتك من الحرس في سبيل الله حرجاً، فأصبحتَ تراه جميلاً.

وحدثني سفيان عن ابن عباس أنه قال: من ترك الجمعة أربعاً متواليات، من غير عذر، فقد نبذ الإسلام من وراء ظهره.

وحدثني الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه من ترك الجمعة ثلاثاً، من غير عذر، طُبعَ على قلبه.

وقد خاطرتَ بنفسك من هٰذين الحديثين عظيماً، فاتَّهِمْ رأيكَ، فإنه شرَّ ما أخذتَ به، وأرضَ بأسلافك إماماً.

وقد كنتَ في ثلاث سنوات مَرَرْنَ ـ والمساجدُ والدِّيار تحرق، والدماء تسفك، والأموال تنهب ـ مع أبيك لا تخالفه في ترك الجمعة، ولا حضور صلاة مسجد، ولا ترغب عنه حتى مضىٰ لسبيله.

وأنتَ ترىٰ أنك بِوَجْهِ هذا الحديث (كن حِلْسَ بيتك)، ومثله من الأحاديث، أعلمُ بها من أبيك، وممن أدرك هذا العلم.

فأعيذكَ بالله، وأنشدكَ به، أن تعتصم برأيك

شاذاً به دون أبيك وأهل العلم قبله، وأن تكون لأصحاب الأهواء قوة، وللسفهاء في تركهم الجمعة فتنة، يحتجون بك إذا عوتبوا على تركها.

أسأل الله أن لا يجعل مصيبتك في دينك، ولا يُغلِّب عليك شقاء، ولا اتباعَ هوًى بغير هدًى منه، والسلام عليك[1].

القول والعمل

قال أبو عمرو:

إن المؤمن يقول قليلاً، ويعمل كثيراً.

وإن المنافق يقول كثيراً، ويعمل قليلاً[2].

ألا ليتهم

قال أبو عمرو:

بلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم: ألا ليت الخلائق لم يخلقوا، ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا

---

(١) «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٩١) للفسوي.

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩١).

لما خلقوا له، وجلسوا مجلساً فذكروا ما عملوا[1].

عفة النفس

قال أبو عمرو ـ مخاطباً ابنه محمداً ـ:

يا بني، لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا، لأوشك أن نهون عليهم[2][3].

البدعة والورع

قال أبو عمرو:

ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب الورع[4].

أين العمران؟

قال أبو عمرو:

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٩١).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٣)؛ و«تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ١٩٩).

(٣) وكأن هذا القول كان تعقيباً على رده للمال الذي أمر له به أبو جعفر المنصور بعد موعظة الأوزاعي له، وقد سأله ابنه عن ذلك فكان هذا الجواب.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢٥).

جئت إلى بيروت أرابط فيها، فلقيت امرأة سوداء عند المقابر، فقلت لها: يا سوداء أين العمارة؟

فقالت لي: أنت في العمارة، وإن أردت الخراب فبين يديك.

فقلت: هذه سوداء تقول هذا، لأقيمن بها، فأقمت ببيروت[1].

طعام قلَّ شكر الله عليه

قال إبراهيم بن أيوب:

أقبل الأوزاعي من دمشق يريد الساحل، فنزل

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٢٠٣).

ولعلها أرادت بقولها: المقبرة هي العمار، الإشارة إلى الحديث من قوله ﷺ: (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) فالعاقل من عمر هذا القبر الذي هو قادم عليه، وأما البنيان فمآله إلى الخراب مهما طال به الزمن، وما من أحد إلا وهو تاركه ومحمول إلى العمار الذي ذكرته هذه السوداء، وهذا الحديث في «مجمع الزوائد» برقم (٤٢٥٢).

بأخ له في القرية التي نشأ فيها وهي الكرك، فقدم الرجل عشاءه، فلما وضع المائدة بين يديه، ومد الأوزاعي يده ليتناول منه.

قال الرجل: كل يا أبا عمرو، واعذرنا فإنك أتيتنا في وقت ضيق.

فردَّ الأوزاعي يده في كمه.

وأقبل عليه الرجل يسأله أن يأكل من طعامه، فأبى، فلما طال على الرجل، رفع المائدة. وبات.

فلما أصبح غدا، وتبعه الرجل فقال: يا أبا عمرو. ما حملك على ما صنعت؟.. فلما أكثر عليه..

قال الأوزاعي: ما كنت لأصيب طعاماً قلَّ شكر الله عليه، أو كُفِرتْ نعمة الله عنده[١].

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٢٠٩)، وفي هذا الخبر يلفت الإمام الأوزاعي النظر إلى بعض الألفاظ التي قد يتكلم بها المرء ولا يدرك ما تؤدي إليه من معنىً. كما حدث لهذا الرجل، حيث كان قوله مؤشراً على عدم شكره لنعمة الله عليه.

موعظة الإمام الأوزاعي
لأبي جعفر المنصور

عن محمد بن مصعب القرفساني، قال: حدثني الأوزاعي قال: بعث إليَّ أبو جعفر أمير المؤمنين، وأنا بالساحل، فأتيته، فلما وصلت إليه، وسلَّمتُ عليه بالخلافة، ردَّ علي، واستجلسني ثم قال: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟

قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟

قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم.

قلت: يا أمير المؤمنين، انظر، [فإنك] لا تجهل شيئاً مما أقول لك.

قال: وكيف لا أجهله وأنا أسألك عنه، وقد وجَّهت فيه إليك، وأَقدمتك له؟

قلت: أن تسمعه ولا تعمل به.

قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت:

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه، فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجةً عليه من الله ليزداد بها إثماً، ويزداد الله بها عليه سخطة).

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما والٍ باتَ غاشّاً لرعيته، حرَّم اللهُ عليه الجنة).

يا أمير المؤمنين! من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين.

يا أمير المؤمنين! إن الذي يلين قلوب أمتكم لكم حين وَلَّوْكُم أمرهم [هو] قرابتكم من النبي ﷺ، فقد كان بهم رؤوفاً رحيماً، مواسياً بنفسه لهم في ذات يده وعند الناس. فحقيق أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً، ولعوراتهم ساتراً، لم تغلق عليك دونهم الأبواب، ولم يقم عليك دونهم الحجاب، تبتهج بالنعمة عندهم، وتبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين! قد كنتَ في شغل شاغلٍ من

خاصة نفسك، عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم، فكلٌّ له عليك نصيبه من العدل، فكيف إذا اتبعك منهم فئام وراءهم فئام، ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بليةً أدخلتها عليه، أو ظلامةً سقتها إليه؟

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد النبي ﷺ جريدة يستاك بها، ويروِّع بها المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعباً؟ فكيف بمن شقق أبشارهم، وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه.

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن زياد بن جارية عن حبيب بن مسلمة: أن رسول الله ﷺ دعا إلى القِصَاصِ من نفسه في خدشة خدش أعرابياً لم يتعمدها. فأتاه جبريل فقال: يا محمد! إن الله لم يبعثك جباراً ولا مستكبراً. فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: (اقتص مني) فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، ما كنت لأفعل ذلك أبداً، فدعا له بخير.

يا أمير المؤمنين! رِضْ نفسك لنفسك، وخُذْ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السماوات والأرض، التي يقول فيها رسول الله ﷺ (لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها).

يا أمير المؤمنين! إن المُلْكَ لو بقي لمن قبلك، لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك، كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين! تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي، وحدثته الألسن.

يا أمير المؤمنين! بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: **لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة، لخفت أن أسأل عنها**. فكيف بمن حُرِمَ عدلك وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين! أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ قال: يا داود! إذا قعد الخصمان بين يديك، فكان لك في أحدهما

هوًى، فلا تَمَنَّيَنَّ في نفسك أن يكون له الحق.. فأمحوك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة. يا داود! إني جعلتُ رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير، ويدلّوا الهزيل على الكلأ والماء.

يا أمير المؤمنين! إنك قد بليت بأمر عظيم، لو عُرِضَ على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين! حدثني يزيد بن مزيد عن جابر بن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل من الأنصار رجلاً على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيماً، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله؟

قال: لا.

قال عمر: وكيف ذاك؟

قال: لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: (ما من والٍ يلي من أمور الناس شيئاً إلا أتي به يوم القيامة،

فيوقف على جسر من نار، فينتفض به الجسر انتفاضاً يزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجا بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً).

فقال له عمر: ممن سمعت هذا؟

قال: من أبي ذر، وسلمان.

فأرسل إليهما عمر، فسألهما، فقالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ.

فقال عمر: واعمراه، من يتولاها بما فيها؟

فقال أبو ذر: من سلتَ اللهُ أنفه، وألصق خده بالأرض.

فأخذ أبو جعفر المنديل، فوضعه على وجهه، فبكى، وانتحب حتى أبكاني فقلت:

يا أمير المؤمنين! قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة على مكة والطائف. فقال له: (يا عباس، يا عم النبي، نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها) هي نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه، لأنه لا يغني عنه من الله شيئاً.

وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، أريب العقيدة لا يطلع منه على عورة، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وقال: السلطان أربعة أمراء:

- فأمير قوي ظَلَفَ[1] نفسه وعماله، فذاك المجاهد في سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة.

- وأمير ضعيف ظلفَ نفسَه، وأرتع عماله فضعف، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله.

- وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه، فذلك الحطمة الذي قال رسول الله ﷺ فيه (شر الرعاء الحطمة) فهو الهالك وحده.

- وأمير أرتع نفسه وعماله، فهلكوا جميعاً.

* * *

وقد بلغني يا أمير المؤمنين! أن جبريل عليه السلام، أتى النبي ﷺ فقال: أتيتك حين أمر الله عز وجل بمنافيح النار فوضعت على النار، تسعر ليوم القيامة.

---

(١) الظِلْفُ: شدة المعيشة؛ أي: أخذ نفسه بخشونة العيش، وحاسبها.

فقال له: يا جبريل! صف لي النار.

فقال: إن الله أمر بها، فأوقدت ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، والذي بعثك بالحق. لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أُظهِر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً من شرابها صُبَّ على ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكر الله تعالى وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقرت. ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها، لمات أهل الأرض من نتن ريحه، وتشويه خلقه وعظمه.

فبكى النبي ﷺ، وبكى جبريل لبكائه، فقال: أتبكي يا محمد، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولِمَ بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين، أمين الله على وحيه؟

قال: أخاف أن ابتلىٰ بما ابتلي به هاروت وماروت، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي، فأكون قد أمنت مكره.

فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: أن يا جبريل، ويا محمد، إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما.

فَفَضْل محمد على الأنبياء كفضل جبريل على ملائكة السماء كلهم.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين! أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من قال الحق من قريب أو بعيد، فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين! إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى. إنه من طلب العزَّ بطاعة الله رفعه الله، ومن طلبه بمعصيته أذله الله ووضعه.

هذه نصيحتي والسلام عليك.

ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟

فقلت: إلى البلد والوطن، بإذن أمير المؤمنين، إن شاء الله.

فقال: قد أذنت وشكرت لك نصحيتك. فلا

تخلني من مطالعتك إياي بمثلها. فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة.

قلت: أفعل إن شاء الله.

* * *

قال مصعب بن محمد: فأمر له بمال يستعين به على خروجه، فلم يقبله وقال: أنا في غنًى عنه، وما كنت لأبيع نصحيتي بعرض من الدنيا كلها.

وعرف المنصور مذهبه، فلم يجد عليه في ردّه[1].

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٩٠).

أقول:

جميل أن يطلب الحاكم النصيحة.

وجميل أن يحسن العالِم اختيار ما يَنصح به.

وجميل أن يعرف الحاكم العالِم الناصح ـ فيكون غير متهم عنده ـ ويميزه عن المتسكعين على أبوابه.

وجميل ـ بل واجب ـ أن يكون العالِم عزيز النفس، فلا تمتد يده للحاكم. فإذا فعل فلن يكون لكلمته أثر.

الباب الثاني

الرّسَائِلُ

تمهيـــد:

هذه نماذج من رسائل الإمام الأوزاعي الكثيرة، التي كانت تعبيراً عن النشاط الإجتماعي لهذا الإمام، وهي في مجالات الحياة المختلفة، سعى من خلالها إلى إقامة العدل، ورفع الظلم، وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

فهي وإن كانت رسائل، فهي مواعظ لفئة خاصة من الناس، وهم العلماء. تضع بين أيديهم طريقة ناجحة في أداء العالِم رسالته، وقيامه بواجباته.

ويحسن بنا أن نتوقف عند الملحوظات التالية بشأن هذه الرسائل.

١ ـ فهي مواعظ عملية، لا قولية، تتناول كل واحدة منها واقعاً اجتماعياً، أمكن إصلاحه من خلالها.

٢ ـ إنها تضع بين يدي العالم نموذجاً من العمل الناجح للعالم في أداء دوره في الحياة الاجتماعية.

وبهذا المعنى ينبغي على من أراد القيام بواجبه أن يستفيد منها ويتبع خطا الإمام الأوزاعي.

٣ ـ إنها رسائل موجهة ـ في معظمها ـ إلى السلطة ممثلة بالخليفة أو الولاة.. وقد كانت فاعلة مؤثرة.. وعندما نبحث عن سرِّ تأثيرها وعمل الأمراء على تنفيذ ما جاء فيها، هو: أن الأوزاعي لم يكن يطلب لنفسه شيئاً من خلالها. فهي في مصالح الناس، كلِّ الناس، بما فيهم غير المسلمين.. لتقوم الدولة بأداء واجبها.

٤ ـ إن الأسلوب المستعمل في هذه الرسائل، يصلح أن يكون نموذجاً يتبعه العلماء في أداء دورهم الاجتماعي.. والاستفادة منه في خطاب أصحاب القرار.. دون إعطاء الدنية من أنفسهم.

وإننا نلاحظ أن الإمام الأوزاعي قد اتبع الخطوات التالية.

ـ التوجه بالتكريم والاحترام للمخاطب، فذلك أدعىٰ لقبوله، وأن تكون أُذُنُه صاغية لما يطلب منه.

ـ عرض المشكلة التي هي موضوع الرسالة.

ـ بيان واجب المخاطب تجاه ما طلب منه، من خلال الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة، أو عمل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم.

ـ ختام الخطاب في الغالب بدعاء يحمل في طياته التأكيد على مسؤولية المخاطب، وطلب الإعانة له من الله سبحانه وتعالى على القيام بواجباته.

٥ ـ وهي مع ذلك تحمل في ثناياها كثيراً من المواعظ التي يمكن لكل قارئ أن يستفيد منها.

(١)

رسالة شفاعة في زيادة الأعطيات

كتب الأوزاعي إلى أمير المؤمنين في زيادة أرزاق أهل الساحل.

فقال:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ كتب إليَّ ألا أدع إعلامه كلَّ ما فيه صلاح عامَّة وخاصَّة، فإن الله ﷻ يأجر على من عمل به، ويحسن عليه الثواب.

وأنا أسأل الله ﷻ أن يلهم أمير المؤمنين من أعمال البرِّ ما يبلِّغه به عفوه ورضوانه في دار الخلود.

وقد كان أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ قَصَرَ بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام، سلفاً من أعطياتهم، وأمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لامرئ ذي عيالٍ عشرةٍ ـ أو أدنىٰ من ذلك أو أكثر ـ كفاف. . .

وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن المسلمين.. فهم إذا كان القيظ تناوبوا الحرس على ساحل البحر رجالاً وركباناً، وإذا كان الشتاء قاسَوْا طول الليل وقرَّه ووحشته، حرساً في البروج، والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت.

فإن رأىٰ أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ أن يأمر لهم في أعطياتهم قدر الكفاف، ويجريه عليهم كل عام، فعل.

وقد تصرمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتُهم، ودخلوا في غيرها، حتى اشتدت حاجتهم، وظهر عليهم ضرُّها، وهم رعية أمير المؤمنين، والمسؤول عنهم، فإنه راع، وكل راع مسؤول عن رعيته.

وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (إنه لحبيب إليَّ أن أفارق الدنيا، وليس منكم أحد يطلبني بمظلمة في نفسه ولا ماله).

أتمَّ الله على الأمير نعمته، وأحسن بلاءه في رعيته.

وقد قدم علينا رسول أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ بالعطية من النفقة والكسوة، التي أمر أمير المؤمنين ـ عافاه الله ـ بقسمها في أهل الساحل، فقسمناها فيهم، من دينار لكل رجل وديناريـن، وقلَّ المال عن اليتامىٰ والأرامل، فلم يقسم فيهم منه شيء.

ولليتامىٰ والأرامل ـ وهم من المساكين ـ في الوجوه الثلاثة في كتاب الله ﷻ، من الصدقات، ومن خُمْس المغانم، وما أفاء الله على رسوله والمؤمنين من أهل القرىٰ.

فإن رأىٰ أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ أن يبعث بما يقسم فيهم، فعل.

جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبهاً في رأفته ورحمته بالمؤمنين، وأتَمَّ عليه نعمته ومعافاته. والسلام عليك ورحمة الله[1].

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ١٩٣).

(٢)
رسالة في فداء أسرى المسلمين

وقع في يد الروم أسرىٰ من المسلمين وأبطأ أبو جعفر في فدائهم، فكتب إليه الإمام الأوزاعي في ذلك.

فقال:

أما بعد، فإن الله تعالى إنما استرعاك أمر هذه الأمة، لتكون فيها بالقسط قائماً، وبنبيه ﷺ في خفض الجناح لهم والرأفة بهم متشبهاً.

إن سياحة المشركين كانت عام أول في دار الإسلام، وموطئهم حريمهم، واستنزالهم نساء المسلمين وذراريهم من المعاقل والحصون، لا يَلْقَوْنَ لهم ـ من المسلمين ـ ناصراً، ولا عنهم مدافعاً.

وكان ذلك بما قدمت أيدي الناس، وما يعفو الله عنه أكثر.

فإنهم بخطاياهم سُبِينَ، وبذنوبهم استُخْرِجَت العواتق من خدورهن، يَكْشِفُ المشركون عوراتهن، ولائذ تحت أيدي الكوافر، يمتهنونهن حواسر عن سوقهن وأقدامهن، ويردون ولدانهن إلى صبغة الكفر بعد الإيمان، مقيمات في خشوع الحزن، وضرر البكاء.

فهن بمرأى من الله ﷻ ومسمع، وبحيث ينظر الله - من الناس - إلى إعراضهم عنهن، ورفضهم إياهن في أيدي عدوهم.

فليستعن بالله أمير المؤمنين، وليتحنن على ضعفاء أمته، وليتخذ إلى الله فيهن سبيلاً، وليخرج من حجة الله عليه فيهن، بأن يكون أعظم همه وآثر أمور أمته عنده مفاداتهن. فإن الله ﷻ حضَّ رسوله ﷺ والمؤمنين على [استنقاذ] من أسلم من الضعفاء في دار الشرك فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

هذا ولم يكن على المسلمين لوم فيهن، فكيف بالتخلية بين المشركين وبين المؤمنات، يظهر منهن لهم ما كان يحرم علينا إلا بنكاح.

وقد حدثني الزهري أنه كان في كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار، أن لا يتركوا مفرحاً[1] أن يعينوه في فداء أو عقل، ولا نعلم أنه كان لهم يومئذٍ فيء موقوف، ولا أهل ذمة يؤدون إليهم خراجاً، إلا خاصة أموالهم.

وقد بلغني عن رسول الله ﷺ قوله: (إني لأقوم في الصلاة، أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي. كراهة أن أشق على أمه) فبكاؤها عليه من صبغة الكفر، أعظم من بكائه بعض ساعة وهي في الصلاة.

وليعلم أمير المؤمنين أنه راع، وأن الله مستوفٍ منه، وموفيه، حين يوقَفُ به على موازين القسط يوم القيامة.

---

(١) المفرح: هو الذي أثقله الدَّين والغُرم، المثقل بالحقوق المغموم، ولعل المراد به هنا: الأسير.

أسأل الله أن يلقن أمير المؤمنين حجته، ويحسن به الخلافة لرسوله في أمته، ويؤتيه من لدنه أجراً عظيماً. والسلام عليك.

فلما وصل كتابه أمر بالفداء[1].

(1) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٤)؛ و«الجرح والتعديل» (١/ ١٩٥).

(٣)
رسالة شفاعة بأهل مكة

كتب الأوزاعي إلى المهدي ـ ابن أمير المؤمنين أبي جعفر ـ رسالة يشفع فيها بأهل مكة. بسبب ما حل بهم من غلاء الأسعار.

قال أبو عمرو:

أما بعد: فإن الله ﷻ جعل رسوله ﷺ لمن بعده من ولاة المؤمنين إماماً وقدوة وأسوة حسنة، في رحمته بأمته، والرأفة عليهم، وخفضِ جناحه لهم في عفوه عنهم، قال الله ﷻ في صفة رسوله ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فأسأل الله أن يعزم لأمير المؤمنين والأمير ـ المهدي ـ على الصبر بالتشبه بنبيه ﷺ، والاعتصام بسنته، ومنافسة الأخيار أعمال البرِّ، ويجعل ثوابهما في يوم البعث الأمنَ والإفضاء إلى رضوان الله ﷻ.

وقد أصبح الأمير، حفظه الله، من خليفة المسلمين ـ أبي جعفر ـ بحال الأمين المصدَّق، إن شكا لمن مسَّه الضُّرُّ من أمته لم يُتَّهم نصحُه، ولم يُجْبَهُ بردٍّ قوله، وإن دافع عنهم أو طلب لهم عفواً، أَخَذَ بقلب الخليفة توفيقُه، وأحدَثَ له بما ألقى إليه من الفضل سروراً إن شاء الله، فجعل الله الأمير لأمته أَمَنَةً ومألفاً، ورضَّاهم به، وأخذ بأفئدتهم إليه.

ثم إنه أتاني من رجل من مَقَانِع[1] أهل مكة كتاب، يذكر الذي هم فيه من غلاءِ أسعارهم، وقلَّةِ ما بأيديهم، منذ حبس عنهم بحرهم[2] وأجدب بَرُّهم، وهلكت مواشيهم هَزْلا.

فالحنطة فيهم مدان[3] بدرهم، والذرة مدان ونصف بدرهم، والزيت مد بدرهم، ثم هو يزداد كل يوم غلاء.

وإنه إن لم يأتهم الله بفرج عاجلاً، لم يصل

---

(١) مقانع: جمع مقنع؛ أي: رجل يرضى برأيه ويقنع به.
(٢) البحر: الماء الكثير.
(٣) المد: كيل يعادل من الوزن (٧٠٠غ) تقريباً.

كتابي حتى يهلك عامتهم أو بعضهم جوعاً، وهم رعية أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ والمسؤول عنهم.

وقد حدثني من سمع الزهري يقول: إن عمر بن الخطاب في عام الرمادة ـ وكانت سَنَةٌ شديدة ـ من بعدما اجتهد في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بلَّحت[1] مما أجهدها، قام يدعو الله ﷻ فقال:

اللهم اجعل أرزاقهم على رؤوس الظراب[2].

فاستجاب الله ﷻ له وللمسلمين، فأغاث عباده.

فقال عمر: **والله لو أن الله ﷻ لم يفرجها، ما تركت أهل بيت لهم سعة إلا أدخلت عليهم أعدادهم من الفقراء، فإنه لم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم الواحد.**

فبلغنا أنه حُمل إلى عمر من مصر وحدها ألف ألف إرْدَبّ[3].

---

(١) بلَّحت: أي أعيت وأهلكت.

(٢) الظراب: الجبال الصغار.

(٣) مكيال مصري، وهو يعادل هذه الأيام (١٥٦) كيلوغراماً، كما قدره بعضهم.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (هل عسىٰ أحدكم أن تبيت فصاله رواء، وجاره طاوٍ إلى جنبه)!

فإن رأىٰ الأمير ـ أصلحه الله ـ أن يُلحَّ على أمير المؤمنين في إغاثة أهل مكة، ومن حولهم من المسلمين، بحمل الطعام والزيت إليهم، قبل أن يبتلىٰ بهلاك أحدهم جوعاً، فعل.

وقد حدثني داود بن علي، أن عمر بن الخطاب قال: لو هلكت شاة على شاطئ الفرات ضياعاً، ظننت أن الله ﷻ سيسألني عنها.

وإنما الأمر واحد، وكلٌ من العدل في الحكم عليه يوم القيامة مشفق، إلا أن يعفو الله ﷻ ويرحم.

وهي أمتكم، وأحق من خَلَفْتُم فيها بالعفو والرأفة رسولَ الله ﷺ.

ألحقكم الله به مصلحين، وأوردكم عليه بإحسان، والسلام.

كتب في خمس من شهر ربيع الآخر، سنة ثنتين وخمسين ومائة[١].

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ١٩١).

(٤)

رسالة بشأن أهل الذمة

روىٰ أبو القاسم عبيد، القاسم بن سلام قال:

كان في جبل لبنان ناس من أهل العهد، فأحدثوا حدثاً، والوالي على الشام يومئذٍ صالح بن علي ـ عم أبي جعفر المنصور ـ فحاربهم وأجلاهم.

فكتب إليه الإمام الأوزاعي برسالة طويلة، مما جاء فيها:

وَبَعْد:

قد كان من إجلاء أهل الذمة ـ من أهل جبل لبنان ـ مما لم يكن تمالأ على خروج من خرج منهم، ولم تُطبِقْ عليه جماعتهم، فقتل منهم طائفة، ورجع بقيتهم إلى قراهم.

فكيف تؤخذ عامة بعمل خاصة، فيُخْرَجُون من ديارهم وأموالهم؟!

وقد بلغنا أن من حُكْمِ الله ﷻ: أنه لا يأخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يأخذ الخاصة بعمل العامة، ثم يبعثهم على أعمالهم.

فأحقُّ ما اقْتُدِيَ به، ووُقِفَ عليه، حكمُ الله تبارك وتعالى.

وأحق الوصايا بأن تحفظ وصيةُ رسول الله ﷺ، وقوله: (من ظلم معاهَداً أو كلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه).

من كانت له حرمة في دمه، فله [حرمة] في ماله، والعدلُ عليه مثلها، فإنهم ليسوا بعبيد، فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سَعَة، ولكنهم أحرار أهل ذمة(١).. والرسالة طويلة.

(١) «الأموال» (ص١٨٣).

(٥)

رسالة للوالي في حسن السيرة في الرعية

قال الوليد بن مزيد: كتب الأوزاعي إلى الوالي أبي بلج:

أما بعد:

صرف الله عنا وعنك الميلَ عن الحق من بعد المعرفة، والجهلَ عما نفع، واتباع الهوىٰ بغير هدًى منه.

فإن أبا الدرداء كان يقول: لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه. فإن عارف الحق كعامله.

وقد تقدَّمكَ أمران[١]:

---

(١) أي: هناك في طريقة الحكم في الرعية مسلكان: عادل وظالم.

أما أحدهما: فالكتاب له مصدق، والسُّنة عليه شاهدة، والنصر به مؤيد، وأمر الناس عليه جامع.

وأما الآخر: فالتجوز على الألفة إلى غلٍّ لا مودَّة فيه، وإلى طمع لا أمانة فيه، وإلى بيع حكم لا عمل فيه، حتى وهنت القوة وظهر في الإسلام فساده[1].

وقد رأيت كتباً ظهرت فيما عندكم، ومقالة سوء بعقوبةِ فرط[2]، وصحبة غليظة للمسلمين.

وقد أوصىٰ رسول الله ﷺ بخفض الجناح لهم، وبالرأفة بهم، والمعْدَلة بينهم. يعفىٰ عن مسيئهم فيما يَجْمُل العفو فيه، ويعاقب المذنب على قدر ذنبه، لا يقتحم بالعقوبة وجهه.

فإنه بلغنا أن صكة الوجه يوم القيامة لا تُغفر، فكيف مَنِ الموت أجملُ من عقوبته؟!

---

(١) أي: فساد الأمر الآخر القائم على ما سبق وصفه من التجاوز والظلم.

(٢) عقوبة فرط: أي تجاوز الحد فيها.

لا يثنىٰ إلى حدود الله عِطفه، ولا يقف في سيرته على أمره. يريه جهلُه أنه في الأمور مخيَّر، وأن غيَّه رشدٌ، فهو لِحُرَمِ الله عند غضبه ملغٍ، وبالعُداة في دين الله وعلى عباده يَسْفهَ[1].

فإنكم جعلتم أمانتكم من أهل ذمتكم مأكلاً وبين أهوائكم[2]، حتى هلكت الأموال، وعلِّقت الرجال، مع المثلة في اللحىٰ وتقطيع الأبشار[3]. ورسول الله ﷺ يقول فيما بلغنا: (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه) فأعظم بندامة مَنْ رسول الله ﷺ عن قليل ـ قريب ـ حجيجه!!

---

(١) المراد أن العقوبة التي يعامل بها الناس لا تحكمها حدود الله، وإنما تصدر عن هوى الحاكم بحسب غضبه ورضاه، وهو عند الغضب يحكمه السفه، وعدم الوقوف عند حُرَمِ الله تعالى.

(٢) أي: جعلتم معاملة أهل الذمة تبعاً لأهوائكم.

(٣) هذه المعاملة السيئة لم تكن قاصرة على أهل الذمة، بل تقدم في الرسالة في وصف المعاملة السيئة للمسلمين قوله: «فكيف من الموت أجمل من عقوبته».

لقد أحدثت تلك الأعمال ـ فيما بلغني ـ من المسلمين ضغائن، ولبعض ذوي النهىٰ في جهاده معكم رَيْباً، تأتينا بذلك كتبهم يسألون عنه[1].

أسأل الله أن يُثني بنا وبكم إلى أمره[2]، ويتغمد ما سلف منا ومنكم بعفوه.

وقد بلغني أن عمر بن عبد العزيز أتاه أخ له من الأنصار فقال له:

إن شئت كلمتك وأنت عمر بن عبد العزيز فيما تكره اليوم وتحب غداً، وإن شئت كلمتك اليوم وأنت أمير المؤمنين فيما تحب اليوم وتكره غداً.

فقال عمر: بل كلمني اليوم، وأنا عمر بن عبد العزيز فيما أكره اليوم وأحب غداً.

---

(١) أي: أن الرسائل كانت ترد إلى الأوزاعي بالسؤال عن جواز الجهاد مع هؤلاء الحكام وهذه حالهم؟

(٢) أن يثني: أي: يردنا إلى أمره واتباع أحكامه.

جعل الله في طاعته ألفتنا، وفيما يحب تقلُّبنا ومثوانا، آمين، والسلام[1][2].

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٢٠٠).

(٢) تبين هذه الرسالة قوة الإمام الأوزاعي في قول الحق، ومكانته في الدفاع عن حقوق الناس مسلمين وغير مسلمين، وأنه كان مرجع الناس فكتُبِ الشكوىٰ من الحكام تصل إليه..

ولهذا المعنىٰ، وقف والي الساحل على قبره بعد تسوية التراب عليه وقال:

رحمك الله أبا عمرو، فوالله لقد كنتُ لك أشدَّ تقيَّة من الذي ولاني، فمن ظُلم بعدك فليصبر.

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني: الرسائل